



التوجيه الدلالي والبلاغي لوصف الإنسان في القرآن الكريم *The Semantic and Rhetorical Orientation of Describing Man in the Holy Quran*

أم كلثوم حويشي*

مخبر الشعرية

جامعة باتنة 1 (الجزائر)

Oumkeltoum.houichi@univ.batna.dz

تاريخ النشر: 2026.07.15

تاريخ القبول: 2026.04.13

تاريخ الاستلام: 2025.12.26

ملخص:

تتجاوز اللفظة القرآنية جميع خصائص الكلام العربي لما تمتاز به من دقة في الوضع، والانتقاء، والوصف، ومن قدرة فائقة على بعث الحياة والحركة، ونقل للمعاني في أسى صيغ تعبيرية محكمة تجسد معالم الدقة في معانيها. وتركز هذه الدراسة على لفظة "الإنسان" في القرآن الكريم وتسليط الضوء على الأبعاد اللغوية والدلالية لصفات الإنسان المعنوية في القرآن الكريم مستعينة بما جادت به كتب اللغة والتفسير سعياً للكشف عن الدلالات الإيحائية-حسية، حقيقية، مجازية- لتلك الصفات. والوقوف على الأوجه البلاغية المتنوعة التي ساهمت في بيان وصف الإنسان معتمدة المنهج الوصفي. وقد توصلت الدراسة إلى أن لفظ "الإنسان" في القرآن الكريم ذكر في أكثر من موضع. وتنوعت أوصافه بين مادية بيّنت بداية خلقه وأصله وتكوينه. وأخرى معنوية كشفت عن كثير من خصائصه النفسية وطباعه.

الكلمات المفتاحية: الإنسان؛ وصف؛ توجيه؛ دلالة؛ بلاغة.

Abstract:

The Quranic word transcends all the characteristics of Arabic speech due to its precision in placement, selection, and description, and its exceptional ability to evoke life and movement, conveying meanings in the most sublime and precise expressive forms that embody the hallmarks of accuracy in their meanings. This study focuses on the word "man" in the Holy Quran and sheds light on the linguistic and semantic dimensions of the abstract attributes of man in the Holy Quran, drawing upon the rich resources of linguistic and exegetical books to uncover the suggestive, sensory, literal, and metaphorical connotations of these attributes. It also examines the diverse rhetorical aspects that contribute to describing man, adopting a descriptive methodology. The study concluded that the word "man" was mentioned in more than one place in the Holy Quran. His descriptions varied between physical descriptions that clarified the beginning of his creation, origin, and formation, and other moral descriptions that revealed many of his psychological characteristics and traits.

Keywords: man; description; orientation; meaning; rhetoric.

* المؤلف المراسل.

1. مقدمة

لطالما كان الإنسان مدار التشريع الإلهي والتنزيل القرآني، وقد خلقه الله في أحسن تقويم وسخر له الكون بما فيه ليعبد الله وحده لا شريك له وليستخلفه في الأرض ويعمرها. وخلق له من نفسه روحا يأنس بها ويسكن إليها، وميزه بالعقل عن سائر المخلوقات، فكان تكريما له وزفعا من شأنه. ليكلفه بعدها بتكاليف تضمن له الفوز بالدار الآخرة والنجاة من العذاب إن امتثل لها ولم يحد عنها.

وجاء ذكر لفظ الإنسان في القرآن الكريم خمسة وستين مرة، كان النصيب الأوفر فيها لسورة الإسراء حيث ذكر لفظ "الإنسان" فيها خمس مرات. وتنوعت بين أوصاف مادية بينت بداية خلقه وأصله، وأخرى كشفت عن نفس طيبة مقرة بالنعم شاكرة لفضل الله تتجلى في أكثر من صورة، ونفس خبيثة جاحدة للنعمة يمكن أن نتبينها من أكثر من سلوك. وكانت في معظمها صيغ مبالغة على وزن: "فعليل" و"فعلول". وقد تعددت دلالاتها وتنوعت تبعا للسياقات الواردة فيها. ومن هنا يحق لنا التساؤل عن مدى مساهمة الألفاظ التي وصف بها الإنسان في تشكيل صور نابضة بالحياة تلخص دقة طبائع الإنسان وما جُبل عليه، وتصفه وصفا بليغا منقطع النظير بما تحمله تلك الألفاظ من دلالات وإيحاءات. وكيف ساهم نظم تلك الألفاظ وفق تراكيب استطاعت أن تحتل أوجها بلاغية متنوعة؟ وتسعى هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على الأبعاد اللغوية والدلالية لصفات الإنسان-المعنوية- في القرآن الكريم سعيا للكشف عن الدلالات الإيحائية-حسية، حقيقية، مجازية- لتلك الصفات. مما يفرض اعتماد المنهج الوصفي الأنسب لتتبع أوصاف الإنسان في القرآن الكريم، وبيان ما تحمله من أوجه دلالية وبلاغية.

يقصد بتوجيه المعاني في وصف الإنسان في القرآن الكريم بيان الوجه المقصود بالأوصاف المختلفة والمتغايرة لشخص الموصوف. أما التوجيه الدلالي فهو الكشف عن دقائق المعاني لمختلف أوصاف الإنسان في القرآن الكريم، وبيان أهم السمات المميزة لتلك المعاني، وتلمس الوجوه اللغوية والدلالية استنادا لما جاء في كتب التفسير ومعاجم اللغة. وأما التوجيه البلاغي فنسعى من خلاله إلى الوقوف على بعض مظاهر الإعجاز البلاغي لآيات وصف الإنسان في القرآن الكريم. وكيف تعددت تلك الأوجه البلاغية من تصوير، واستعارة، وتمثيل، وكناية. وفي كل وصف دقيق للإنسان وبيان لطبائعه.

إن المتأمل لآيات وصف الإنسان في القرآن الكريم يدرك لا محالة أن صيغ المبالغة تحظى بحظ وافر باختلاف صيغها. ومرد ذلك في الغالب أن المبالغة شكل من أشكال الإيجاز اللغوي، الذي يستطيع اختزال كثير من المعان التي تُغني عن حشو لفظي. زد على ذلك أن صيغ المبالغة تعد واحدة من سبل الإيحاءات اللفظية، التي تُمكن المعنى في نفس المتلقي بدقة متناهية. وهي ضرب من سبل الوصف التي يعتمد عليها لما تحمله من إملاءات دلالية عميقة. وقد جاء وصف الإنسان في القرآن الكريم في الغالب بصيغ المبالغة، لتتناسب وسياقات الترغيب والترهيب التي يعتمدها الأسلوب القرآني في الهداية والإرشاد.

ومما لا شك فيه أن صيغ المبالغة على اختلاف صيغها وأشكالها في القرآن الكريم تعطينا مزيداً من الدلالات التي تجعل من المبالغة مظهراً من مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم. ذلك أن الصيغة الصرفية عنصر فاعل في تشكيل المعاني وبنائها، لما تختزنه من طاقة دلالية متنوعة تفرض اعتماد صيغة صرفية دون أخرى، يكون لها بالغ الأثر في المعنى العام للنص وقوة تأثير عجيبة. وقد عدّ ابن جني الدلالة الصناعية أقوى من الدلالة المعنوية "من قبل أنها وإن لم تكن لفظاً فإنها صورة يحملها اللفظ. ويخرج عليها ويستقر على المثال المعتمد بها، فلما كانت كذلك لحقت بحكمه وجرت مجرى اللفظ المنطوق به"⁽¹⁾. فالاسم كلمة تدل على معنى غير مقترن بزمان، "وتختلف دلالاته باختلاف صيغته وتنتقل دلالاته من معنى مجرد إلى معنى أكثر اختصاصاً ووضوحاً"⁽²⁾، فلكل صيغة صرفية معنى خاصاً ودلالات وإيحاءات يكشف عنها السياق العام.

2. التوجيه الدلالي لوصف الإنسان:

لقد تعددت أوصاف الإنسان في القرآن الكريم وتباينت دلالاتها بين مادية حسية تصف خلقه، وأخرى معنوية استطاعت أن تكشف لنا عن كثير من الدلالات العميقة للنفس البشرية. وفيما يلي بيان لها، استناداً لما تحمله الدلالة المعجمية من معان. وبما جادت به كتب التفسير.

1.2. الهلع. الجزع. المنع:

جاء وصف الإنسان في قوله تعالى: "إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21)" المعارج 21.20.19. بأوصاف ثلاث وهي الهلع، والجزع، والمنع. وكلها على صيغة المبالغة "فَعُول" تأكيداً لتمكن تلك الصفات من الإنسان. جاء في مقاييس اللغة لابن فارس: "الهاء واللام والعين يدل على سرعة واحدة، وناقية هُلُوعًا: سريعة. ومنه الهَلْعُ في الإنسان شَبَهُ الْجَرَصِ"⁽³⁾. "والهَلْعُ: الحُزْنُ، والهَلُوعُ: الذي يَفْزَعُ وَيَجْزَعُ من الشر. قال أبو العباس: رجل هَلُوعٌ إذا كان لا يصبر على خير ولا شر حتى يفعل في كُلِّ منهما غير الحق"⁽⁴⁾. وليس الهَلْعُ هو الْجَزَعُ عند كثير من أئمة اللغة، فهناك من فسر الهَلْعَ بِالْجَزَعِ أو بشدة الجزع أو بأفحش الجزع. وهناك من ذهب إلى أن الْجَزَعُ أَثَرٌ من آثار الهَلْعِ وليس عينه. وأما ابن عاشور فيرى بأن الهلع صفة جُبِلَ عليها الإنسان "وطبيعة كامنة فيه مع خَلْقِهِ تظهر عند ابتداء شعوره بالنافع والضار."⁽⁵⁾ وفصل ابن عاشور في الفرق بين الهلع والجزع بقوله: "أن حال الهلع يشتمل على الجزع عند مس الشر، وعُطِفَ منوعاً على جزوعاً لأن الإنسان خلق هُلُوعاً في حال كونه جزوعاً إذا

(1) أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، ج3، ص100.

(2) لطيفة إبراهيم النجار، دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتفعيدها، ص41.

(3) أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، ج6، ص62. أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، أساس البلاغة، ج2، ص378.

(4) أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، لسان العرب، ج8، ص375.

(5) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج29، ص168.

مَسَّهُ الشر ومنوعا إذا مَسَّهُ الخير⁽¹⁾. إذن الهَلْعُ أسبق حدوثا وأشمل وأوسع معنى من الجزع. وجاء وصف الإنسان بـ"هَلُوع" على وزن "فعلول" مبالغة في الاتصاف بالهلع. فلفظة "الهلع" بحكم دلالتها على السرعة تعكس طبع الإنسان في سرعة استجابته لما يعترضه، فتراه يجزع من كل شر، ويمنع لما يناله من الخير. وأما وصف الإنسان بالجزع في القرآن الكريم فقد ورد مرة واحدة للإنسان في قوله تعالى: "إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) " المعارج 20. وكأن الإنسان مجبول على الجزع مطبوع به. جاء في مقاييس اللغة: "الجيم والزاء والعين أصلان: أحدهما الانقطاع، وَجَزَعْتُ الرَّمْلَةَ إِذَا قَطَعْتُهَا. وَالْجَزْعُ نَقِيضُ الصَّبْرِ." (2) وجاء في لسان العرب: "جَزَعَ يَجْزَعُ جَزَعًا فهو جَانِعٌ وَجَزُوعٌ، والجزوع ضد الصَّبْر على الشَّر." (3) وذكر ابن عاشور أن "جزوعا شديد الجزع، والجزع ضد الصبر. والمنوع كثير المنع، أي شديد المنع لبذل شيء مما عنده من الخير"⁽⁴⁾ والفرق بين الهلع والجزع كما ذكر أبو هلال العسكري هو أن "الهلع أسوء الجزع"⁽⁵⁾. والجزوع مبالغة جازع. وكأن الإنسان مجبول على الجزع مطبوع به. وقد جاء وصف الإنسان به على وزن "فعلول" التي أكدت قوة ودقة تمكن تلك الصفة في طبع الإنسان، لذا تجده غير راض بما يصيبه في أغلب أحواله.

أما وصف الإنسان في قوله تعالى: "وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21) " المعارج 21. بصفة المنع. والمنع في مقاييس اللغة: "الميم والنون والعين أصل واحد هو خلاف الإعطاء. وَمَنَعْتُهُ الشَّيْءَ مَنَعًا، وهو مانع مَنَاعٌ" (6) "وَمَنَاعٌ ضَمْنٌ مُّمْسِكٌ، والمنع: أَنْ تَحُولَ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالشَّيْءِ الَّذِي يَرِيدُهُ" (7) " وأصل دلالة صيغة "فعلول" المصدر، والمصدر متفرع للدلالة على الحدث فقط فهو ألصق بالثبوت. فجاء وصف الإنسان بالمنع والبخل لما حل به من فضل وخير. وقد كان اعتماد الصيغة "فعلول" بقصد الوصف استدعاء للثبوت ودليلا لتمكن صفة الجزع والهلع والمنع من الإنسان تمكنا لا خلاف فيه. بل تأكيد لحقيقة النفس البشرية التي تجزع ولا تصبر وتمنع ولا تعطي. وخلاصة القول هي أن كل من "هلوعا وجزوعا ومنوعا" أوصاف للإنسان على وزن "فعلول" التي أظهرت المعنى في قوة ودقة تلخص طبع الإنسان وسرعة تعامله مع ما يمر به من ظروف، فتجده هلوعا وجازعا ومانعا. وقد جاءت هذه الأوصاف وفق ترتيب اقتضى بيان

(1) المرجع نفسه، ج 29، ص 170.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 1، ص 453.

(3) ابن منظور، لسان العرب، ج 8، ص 47.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 29، ص 170.

(5) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص 242.

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 5، ص 278.

(7) ابن منظور، لسان العرب، ج 8، ص 343.

وصف بالغ الدقة للإنسان في أحوال متباينة: "ولترتيب الألفاظ في الكلام طريقتان: النزول من الأعم إلى الأخص، وعكسها، وهو الترقى من الأخص إلى ما هو أعم منه"⁽¹⁾.

2.2. اليأس. القنوط:

وردت صيغة المبالغة "قنوط" في وصف الإنسان مرة واحدة في قوله تعالى: "لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ" فصلت 49. وأما صفة "يؤوس" فوردت ثلاث مرات، مرة في سورة الإسراء: "وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا" الإسراء 83. وسورة هود: "وَلَمَّا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ" هود 9. وفي قوله تعالى: "لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ" فصلت 49. وصف للإنسان بخلقين ذميمين، أحدهما: خلق البطر بالنعمة والغفلة عن شكر الله عليها. وثانيهما: اليأس من رجوع النعمة عند فقدانها، وهذه صفة الكافر لقوله تعالى: "إِنَّهُ لَا يَئُوسُ مِنْ رَفْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ" يوسف 87.

وأصل القنوط كما جاء في مقاييس اللغة: "القاف والنون والطاء" كلمة صحيحة تدل على اليأس من الشيء⁽²⁾. والقنوط: "أشدُّ اليأس"⁽³⁾. أما اليأس في اللغة فهو "قَطَعَ الرجاء"⁽⁴⁾. إن الدقة في المعنى ناتجة من الدقة في الوضع والاختيار والوصف وإن "اللفظة إذا تؤدي محتواها بأمانة باستنفاد طاقتها، فلكي تمد ذهن القارئ بكل ما تملكه من معنى، وتعكسه من مغزى، وتحدده من هدف، وذلك لتثير النفس والوجدان، وتُحرِّك العقل، عساها تصل إلى حقيقة القرآن"⁽⁵⁾ وفي الوصف بـ (يؤس وقنوط) مبالغة من وجهين: "أحدهما من طريق بناء فعول، والثاني من طريق التكرير. واليأس من صفة القلب والقنوط أن يظهر آثار اليأس في الوجه والأحوال الظاهرة"⁽⁶⁾ وفي اتباع وصف الإنسان "يؤوس" بوصفه بالقنوط "الذي هو تجاوز إحساس اليأس إلى ظاهر البدن بالانكسار حصلت مبالغتان في التعبير عن يأسه، بأنه اعتقاد في ضميره وانفعال في سحناته"⁽⁷⁾. وتظهر هاتان المبالغتان في صيغة المبالغة "فعول" التي تلخص قوة اتصاف الإنسان باليأس والقنوط، فالإنسان من شدة يأسه يقطع الرجاء. وهذا ما أكدته الضوابط الصرفية للبنية اللغوية وهي "العلامات التي تميز الكلمة من حيث بنيتها الصرفية وما يمكن أن تقبله من تغييرات، وما يمكن أن يطرأ عليها من أحوال"⁽⁸⁾. لتنقل المعنى بدقة.

(1) ينظر عبد الفتاح لاشين، ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن، ص 118.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 5، ص 32.

(3) ابن منظور، لسان العرب، ج 7، ص 386.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 6، ص 153. ابن منظور، لسان العرب ج 6، ص 259.

(5) عمر السلامي، الاعجاز الفني في القرآن الكريم، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، ص 83.

(6) أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب، ج 27، ص 572. الزمخشري، الكشاف، ج 1، ص 163.

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 25، ص 11.

(8) لطيفة إبراهيم النجار، دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتفعيدها، ص 43.

وذكر ابن عاشور الفرق بين اليأس والقنوط بقوله: "اليأس فعل قلبي، وهو اعتقاد عدم حصوله الميؤوس منه. وأما القنوط فهو انفعال يدني من أثر اليأس وهو انكسار وتضاؤل"⁽¹⁾. "والإنسان بقلة صبره، وضعف احتماله متى توقع الشر أعرض وأطال في الدعاء، فإذا تحقق وقوعه كان يؤوسا"⁽²⁾. فالإنسان في طلب الخير لا يقنع ولا يكتفي وإن مسّه ضرر ينقلب حاله.

إن التكرار الحاصل من تتابع صفتي "اليأس" و"القنوط" اللتان تشاركنا في الدلالة على تمكن صفة الجحود عند الإنسان حال ما يمسه ضرر أو شر. إنما هو تأكيد لهما، وتثبيت في الموصوف الذي هو الإنسان. فالإنسان في حال الإقبال ومجيء المراتب لا يكتفي. بل يطلب الزيادة عليها ولا يقنع ويطمع بالفوز بها. وفي حال الإدبار والحرمان يصير آيسا قانطا. فالانتقال من ذلك الرجاء الذي لا آخر له إلى هذا اليأس الكلي، يدل على كونه متبدل الصفة متغير الحال. وإن ما تملكه لفظتا "يؤوس" و"قنوط" من قوة في الدلالة استطاعت أن تكشف نفسية الإنسان وما يعترضها من عوارض تتجاوز النفس إلى الجوارح. وقد ساهمت بدقة عالية في وصف الإنسان وانتقال حاله من رجاء لا آخر له إلى يأس كلي وقنوط.

3.2. اليأس. الكفر:

إن في قوله تعالى: "وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَّحْنَا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ" الشورى 48. وصفا للإنسان بالكفر على وزن "فَعُول" وهي من أكثر الصيغ ذكرا في القرآن الكريم، وتأتي اسما وللمبالغة، والصفة المشبهة، ويصاغ بمعنى اسم الفاعل، واسم المفعول، وتأتي مصدرا للدلالة على القلة. ويطلق الوصف بالكلمات من زنة "فَعُول" لمن كثر منه الفعل أو دام منه الاتصاف به، ذلك لأن "فَعُول" من أوزان المبالغة والتكثير في الحدث، "فكل اسم يكون على فعول، نحو (قتول للرجال) و(لا ضروب بالسيف)"⁽³⁾. فلما كثر كفر الإنسان ودام جحوده جاء وصفه بالكفور. وما أكد تلك الصفتين اجتلاب "إذا" في هذا الشرط. لأن من شأن "إذا أن تدل على تحقق كثرة وقوع شرطها، وشأن "إن" أن تدل على ندرة وقوعه، ولذلك اجْتُلب "إن" في قوله "وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ" لأن إصابتهم بالسيئة نادرة بالنسبة لإصابتهم بالنعمة"⁽⁴⁾ فعلى قدر ما يتنعم به الإنسان من نعم لا تعد ولا تحصى. ينسى كل ذلك حال إصابته بضر بسيط.

وفي وصف الإنسان بالبطر بالنعمة وبالكفر عند الشدة جاء التأكيد بـ "إن" وتأكيد الخبر "بحرف التأكيد لمناسبة التسلية. بأن نزل السامع الذي لا يشك في وقوع هذا الخبر منزلة المتردد في ذلك، لاستعظامه إعراضهم عن دعوة الخير..... ذلك أن من عوارض صفة الإنسانية عروض الكفر بالله لأن في

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج25، ص10.

(2) ينظر ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص48.

(3) أبو محمد عبد الله بن قتيبة، أدب الكاتب، ص330.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج25، ص135.

طبع الإنسان تطلب مسالك النفع وسد منافذ الضرر.⁽¹⁾ وقد تنوع الاستخدام القرآني للصيغ المشتقة من مادة (كفر) بين " فاعل وفعل وفعال " مبالغة في وصف الكفر الذي يعني الجحود. ووصف الله الإنسان بأنه (كفور) في أحد عشر موضعاً. وأما في قوله تعالى: "وَلَيْنُ أَذْقَنَّا الْإِنْسَانَ مِمَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ كَفُورًا" هود 9. وصف الإنسان بـ"اليؤوس والكفور" وهما مثالا مبالغة في الـآيس وكافر النعمة أي جاحدها. والمراد بـ"الكفور" هنا مُنكر نعم الله. لأنه تصدر منه أقوال وخواطر من السخط على ما انتابه، كأنه لم يُنعم عليه قط. وتأكيد الجملة باللام الموطئة للقسم، وبحرف التوكيد في جملة جواب القسم لقصد تحقيق مضمونها. وأنه حقيقة ثابتة لا مبالغة فيها ولا تغليب⁽²⁾ فحال الإنسان عند زوال النعمة اليأس والجحود، ويقابل ذلك ما جاء في قوله تعالى: " وَلَيْنُ أَذْقَنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسَّتُهُ لِيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورًا " هود 10. فإذا أصابت الإنسان نعمة بعد ضراء فهو فَرِحَ فَخُور لا شاكِر مُقِر بفضل الله عليه.

ولطف الله بالإنسان في كل الأحوال ظاهر، ويمكن لنا أن نتبينه في لفظتي "الإذاقة" و"المس". والإذاقة مستعملة في إيصال الإدراك على جهة المجاز، واختيرت مادة "الإذاقة" لما تشعر به من إدراك أمر محبوب، لأن المرء لا يذوق إلا ما يشتهي،... والمس مستعمل في مطلق الإصابة على وجه المجاز. واختيار فعل المس بالنسبة إلى إدراك الضراء إيماء إلى أن إصابة الضراء أخف من إصابة النعماء⁽³⁾ فالله رحيم بعباده في كل الأحوال.

إن ما تملكه اللفظة القرآنية من قدرة على دقة التصوير لا ينشأ من صيغتها وأصواتها فحسب، بل تتجاوز ذلك بما تحمله من دلالات نفسية عميقة. وهذا ما مثلته لفظتا "فَرِحَ" و"فخور" اللتين لخصتا تلك المشاعر النفسية التي يعيشها الإنسان حال إنعام الله عليه. وفي صف الإنسان بـ"فَرِحَ فخور" بيان لعجيب حاله وعجلته في حكمه على الأمور دون النظر إلى حكمة الله. وكل من فَرِحَ فخورٌ مثال مبالغة أي شديد الفرح شديد الفخر. وشدة الفرح تجاوز الحد وهو البطر الأشر. وأما الفخر فهو تباهي المرء على غيره بما له من الأشياء المحبوبة للناس. والمعنى أنه لا يشكر الله على النعمة بعد البأساء وما كان فيه من الضراء، فلا يتفكر في وجود خالق الأسباب وناقل الأحوال والمخالف بين أسبابها⁽⁴⁾. وفصل ابن القيم القول بين (إذا، وإن) في قوله تعالى: " وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِمَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ " الشورى 48. "كيف أتى في تعليق الرحمة المحققة إصابتها من الله تعالى بـ(إذا)، وأتى في إصابة السيئة بـ(إن)، فإن ما يعفو الله عنه أكثر.....وكيف أتى في الرحمة بحرف ابتداء

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 25، ص 134.

(2) المرجع نفسه، ج 12، ص 13.

(3) المرجع نفسه، ج 12، ص 13، 14.

(4) المرجع نفسه، ج 12، ص 14.

الغاية مضافة إليه، فقال: (منا رحمة)، وأتى في السيئة بباء السببية مضافة إلى كسب أيديهم⁽¹⁾ وهذا حال الإنسان- الكافر- شغل بفرحه وفخره عن شكر نعم ربه. إلا الذين آمنوا، فعادتهم شكر النعمة إن حلت بهم، والصبر إن زالت عنهم، مسلمين أمرهم لله ومؤمنين بحكمة الله في تقدير الأمور.

4.2. الظلم. الكفر. الجهل:

إنَّ في قوله تعالى: "وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ" إبراهيم 34. بيانا لنعم الله التي لا تُعدُّ ولا تُحصَى والتي تستحق الشكر والحمد لا الجحود والكفر، فنعم الله كثيرة ما علمنا منها وما لم نعلم كنعمة البصر، والسمع، والتنفس، والحركة، والطعام، والشراب، والصحة، والعلم، والإسلام. والمراد بالإنسان هنا صنف منه، وهو المتصف بمضمون الجملة المؤكدة فالإنسان هو المشرك، وصيغتا المبالغة في "ظلم وكفار" اقتضتاهما كثرة النعم المفاد من قوله تعالى: "وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا" إذ بمقدار كثرة النعم يكثر كفر الكافرين بها. إذ أعرضوا عن عبادة المنعم وعبدوا مالا يغني عنهم شيئا، فأما المؤمنون فلا يجحدون نعم الله ولا يعبدون غيره.⁽²⁾ وظلم مبالغة ظالم، وتحمل كغيرها من صيغ المبالغة معنى الزيادة والتكثير، وقد جاء الوصف بهذه الصيغة للإنسان في القرآن الكريم في موضعين، هما: سورة إبراهيم الآية 34، وسورة الأحزاب الآية 72.

وفي اقتران وصف "ظلم" الدال على المبالغة في الظلم بوصف "جهول" يدل على كثرة متعلقات الجهل، و"ظلم كفر" أي: يظلم النعمة بإغفال شكرها. وكفار شديد الكفران لها. وقيل: ظلم في الشدة يشكو ويجزع، وكفار في النعمة يجمع ويمنع. والمراد بالإنسان هنا الجنس، والإنسان مجبول على النسيان، فإذا وجد نعمة نسيها في الحال وظلمها بترك شكرها وإن لم ينسها، فإنه في الحال يملها فيقع في كفران النعمة. ونعم الله كثيرة فمتى حاول التأمل في بعضها غفل عن الباقي⁽³⁾.

وقد جاء وصف الإنسان بأنه "كفور" في موضع آخر من القرآن الكريم بعد تعداد نعم الله وذلك في قوله: "وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ" الحج 66. وإن في قوله: "إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ" تذييل يجمع المقصد من تعداد المنعم بجلال النعم المقتضية انفراد الله- باستحقاق الشكر واعتراف الخلق له بوحداية الربوبية، وتوكيد الخبر بـ"إن" لتزليلهم منزلة المنكر. وأريد بالإنسان هنا خصوص المشرك. والكفور: مبالغة في الكافر لأن كفرهم كان عن تعنت ومكابرة⁽⁴⁾ وجاء في قوله تعالى: "قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ" عبس 17. دعاء على الإنسان. وهذا ما بينه ابن عاشور بقوله: "وفعل" قتل فلان" أصله دعاء عليه بالقتل، والدعاء بالسوء من الله تعالى مستعمل في التحقير والتهديد لظهور أن

(1) ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص 47.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 13، ص 237.

(3) الرازي، مفاتيح الغيب، ج 19، ص 100.

(4) المرجع نفسه، ج 19، ص 100. ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 17، ص 327.

حقيقة الدعاء لا تناسب الإلهية، لأن الله هو الذي يتوجه إليه الناس بالدعاء. وقال مجاهد: ما كان في القرآن قتل الإنسان وإنما عني به الكافر⁽¹⁾.

"وجملة "مَا أَكْفَرَهُ" تعليل لإنشاء الدعاء عليه دعاء التحقير والتهديد. وهذا تعجيب من شدة كفر هذا الإنسان. ومعنى شدة كفره أن كفره شديد كَمَا وَكَيْفًا وَمَتَى، لأنه كَفَرَ بوحداية الله وبقدرته على إعادة خلق الأجسام بعد الفناء، وإرساله الرُّسُل، وبالوحي إلى الرسول ﷺ وأنه كفر قوي لا اعتقاد قوي لا يقبل التزحزح. وأنه مَسْتَمِر لا يقلع عنه. مع تكرار التذكير والإنذار والتهديد⁽²⁾ "فإنَّ كُفْرَ الإنسان -الكافر- وجُحوده بالغ حدِّ المذمة جامع لكل أصناف الملامة وجالب لسخط الله وغضبه، كيف لا وهو منكر لوحداية الله وقدرته وعظيم سلطانه وجبروته. جاحد لكل ما أنعمه الله عليه من نعم.

وأما وصف "جهول" فهو مبالغة جاهل وهو مشتق من الجهل، و"جَهْلَ بِالشَّيْءِ لَمْ يَعْرِفْهُ."⁽³⁾ وقد وردت لفظ "جهول" في القرآن مرة واحدة في وصف الإنسان في قوله تعالى: "إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا" الأحزاب 72. فلما كثر جهل الإنسان بما ينفعه ويضره من الأمور جاء وصفه بـ"جهول". وأما وصف الإنسان بأنه ظلوم مبالغة في الظلم وكذلك وصفه بأنه "جهول" مبالغة في الجهل، "والظلم الاعتداء على حق الغير وأريد به هنا الاعتداء على حق الله الملتزم له بتحمل الأمانة، وهو حق الوفاء بالأمانة. والجهل: "انتفاء العلم بما يتعين علمه. والمراد به هنا انتفاء علم الإنسان بمواقع الصواب فيما تحمل به."⁽⁴⁾ فكان الإنسان ظلوما في عدم وفائه بالأمانة وتركه أداها. وجَهُولًا في عدم تقديره قدر تضبيع الأمانة، مع تَمَكُّنِهِ من أداها.

5.2. الخصام المبين:

في قوله تعالى: "خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ" النحل 4. جاء وصف الإنسان بـ"خصيم مبين" على وزن "فعيل تنويها وتعجيبا لحال الإنسان. "وخاصَّمْتُهُ خَصَمْتُهُ خِصَامًا وَمُخَاصَمَةً، فَخَصِمَهُ يَخْصِمُهُ خَصْمًا: غَلَبَهُ بِالْحُجَّةِ، وَالْخُصُومَةُ الْجَدَلُ وَالْمُنَازَعَةُ"⁽⁵⁾. والخصيم الكثير المخاصمة⁽⁶⁾. وقد تضمنت الآية تغير حال الإنسان "ومبدأ خلقه. وهو النطفة التي هي أمهن شيء نشأ منها أشرف نوع، ومنتهى ما شَرَفَهُ به وهو العقل."⁽⁷⁾ وفصل الرازي القول في وصف الإنسان بخصيم مبين. وركز على انتقال الإنسان من حالة الضعف والعجز إلى حال الخصام المبين والجدال ومنازعة الخصوم بعد أن كان

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30، ص 120.

(2) المرجع نفسه، ج 30، ص 121.

(3) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ص 144.

(4) ابن عاشور، المرجع السابق، ج 22، ص 130.

(5) ابن منظور، لسان العرب، ج 13، ص 67. ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 2، ص 187.

(6) أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 284.

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 14، ص 103.

نطفة قَدْرَة، وجمادا لا حس ولا حركة. والمقصود منه: "أن الانتقال من تلك الحالة الخسيسة إلى هذه الحالة العلية الشريفة لا يحصل إلا بتدبير مدبر حكيم عليم".⁽¹⁾

وذكر ابن عاشور سبب مجيء حرف المفاجأة "إذا" بأن إقحام حرف المفاجأة جعل الكلام مُفْهِمَا أمرين هما: "التعجيب من تطور الإنسان من أمهن حالة إلى أبدع حالة. وهي حالة الخصومة والإبانة الناشئين عن التفكير والتعقل، والدلالة على كفرانه النعمة، وصرفه ما أنعم به عليه في عصيان المنعم عليه".⁽²⁾ وهذا الوصف تأكيد "لإفراط الإنسان في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران النعمة"⁽³⁾.

إن ألفاظ القرآن نابضة بالحياة مُشْعَة مُعْبِرَة وموحية، مُصَوِّرة وناطقة. وهذا ما نلمسه في لفظة "خصيم" التي استطاعت أن تعبر بمحتواها الحسي واللغوي عن حال الإنسان وطبيعة نفسه التي تسارع إلى الجدل والخصومة. وكذلك أضفت لفظة "مبين" وقعا خاصا ساهم في قوة إحياء لفظة "خصيم" ذلك أن: "البيان ما يُبَيِّن به الشيء من الدلالة، وبأن الشيء بَيَّاناً إِتَّضَحَ".⁽⁴⁾ فبعد أن كان الإنسان نطفة صار خصيما مبينا يجادل وينازع خصومه، مفرطا في جهله، ظالما لنفسه، متطاولا في كفران نعم الله عليه.

6.2. القتور:

وردت صيغة المبالغة "قتورا" في وصف الإنسان مرة واحدة في قوله تعالى: "قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا" الإسراء 100. مبالغة في وصف تقتير الإنسان. وقد جاء الوصف على وزن "فعول" مناسبا لسياق الآية التي تكشف مقدار حرص الإنسان على ما يملك وشدة تمسكه به. إذ يبخل نفسه وغيره. فقد أدمج في هذه الآية ردُّ يتضمن بيان ما في الإنسان من البخل عن الانفاق في سبيل الخير، رغم أن الله أعطاه من خزائن رحمته التي لا تنفذ.

جاء في لسان العرب "قَتَرَ يَقْتِرُ وَقْتُرٌ قَتُورًا، وهو قَاتِرٌ وَقْتُورٌ، وَأَقْتَرُ الرَّجُلُ: افْتَقَرَ. وَقَتَّرَ عَلَى عِيَالِهِ أَي ضَيَّقَ عَلَيْهِمْ فِي النِّفْقَةِ"⁽⁵⁾ "والقاف والتاء والراء أصل صحيح يدل على تجميع وتضييق".⁽⁶⁾ وأما قوله تعالى: "قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا" الإسراء 100. فتضمن بيان ما في الإنسان من صفة البخل عن الإنفاق في سبيل الخير. بل تجاوزه إلى وصفه بالقتور وهو "الشديد البخل"⁽⁷⁾ و"الأصل في الإنسان البخل لأنه خُلِقَ مُخْتَاجًا. والمحتاج لا بد أن يُجِبَّ ما به يدفع الحاجة، وأن يُمَسِّكَه لنفسه. إلا أنه قد يوجد به لأسباب من خارج، فثبت أن الأصل في الإنسان

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، ج 14، ص 174.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 14، ص 103.

(3) أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج 2، ص 593.

(4) ابن منظور، لسان العرب، ج 13، ص 67. ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 1، ص 328.

(5) ابن منظور، لسان العرب، ج 5، ص 71.

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 5، ص 55.

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 15، ص 224.

البخل" ⁽¹⁾.. وهنا مبالغة عظيمة في الوصف بالبخل وتأکید وتقوية. ونلمس هذا كذلك في تأخير الفعل بعد "لو" التي تختص بالدخول على الجمل الفعلية، "فشأن "لو" أن يلها فعل ماضي في الأكثر أو مضارعاً في اعتبارات أخرى. ويؤخر الفعل لقصد بليغ إما للتقوية والتأکید، وإما للانتقال من التقوية إلى الاختصاص، بناء على أنه ما قدم الفاعل من مكانه إلا لمقصد طريق غير مطروق. والمعنى لو أنتم اختصاصتم بملك خزائن رحمة الله دون الله لما أنفقتم على الفقراء شيئاً. وذلك أشد في التقريع وفي الامتنان" وجاء التأکید مرة أخرى بزيادة "إذن" التي تتضمن معنى الجزاء. وفي كل تأكيد على قُتُور الإنسان وبخله.

7.2. الكنود:

إن في قوله تعالى: "إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ" (6) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (7) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ " العاديات 8.7.6 وصفا للإنسان بـ"كنود". والكنود لغة "الكاف والنون والذال أصل صحيح واحد يدل على القطع، والكنُود: الكفورُ للنعمة. لأنه يَكْنُدُ الشُّكْرَ أي يَقْطَعُهُ، وَكَئِدَ يَكْنُدُ كُنُودًا كَفَرَ النعمة، ورجل كَنَادٌ وَكَنُودٌ هو الجحود" ⁽²⁾ "و" إن الكنود من أمثلة المبالغة من كَنَدَ. ولغات العرب مختلفة في معناه، فهو في لغة مضر وربيعة: الكفور بالنعمة، وبلغة كنانة: البخل، وفي لغة كندة وحضرموت: العاصي، والمعنى شديد الكفران لله. ⁽³⁾ " والكنُودُ اللُّوَامُ لِرَبِّهِ يَعُدُّ المحن والمصائب، وينسى النعم" ⁽⁴⁾. " فالإنسان لا يخلو من أحوال مآلها إلى كفران النعمة بالقول والقصد أو بالفعل والغفلة، فالإشراك كنود، والعصيان كنود، وقلة ملاحظة صرف النعمة فيما أعطيت لأجله كنود، وهو متفاوت فهذا خلق متأصل في الإنسان" ⁽⁵⁾ فوصف الإنسان بأنه كنود لربه، أي يكفر النعمة. وهذا عارض يعرض لكل إنسان على تفاوت فيه. ولا يسلم منه إلا الأنبياء وكمال الصلاح. وهو أمر في الجبلة لا تدفعه إلا المراقبة النفسية وتذكر حق الغير. والأنفس متفاوتة في تَمَكُّن هذا الخلق منها، والعزائم متفاوتة في استطاعة مغالبتها. وهذا ما أكدّه قوله تعالى: "وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (7) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ " العاديات 8 ⁽⁶⁾. فالإنسان كنود لربه وشهيد على نفسه أي مُقِرُّ بكنوده قَصْد ذلك أم لم يقصد. فهو يعلم يقينا أن الله مستحق للشكر والطاعة بدل جحود النعم وكفرانها.

8.2. الإنابة والنكران:

تضمن قوله تعالى: "وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نِسِيَ مَا كَانَ يُدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ "

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، ج 21، ص 413.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 5، ص 140. ابن منظور، لسان العرب، ج 3، ص 381.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30، ص 502.

(4) الرازي، مفاتيح الغيب، ج 32، ص 262.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30، ص 503.

(6) المرجع نفسه، ج 30، ص 503.

الزمر 8 وصفا لمبلغ كفر الإنسان وغريب أحواله، فتراه متقلبا بين الكفر بالله، وإشراك غيره معه في العبادة، وبين إظهار احتياجه إلى الله. وبَيَّنَّت الآية حال الإنسان مع النعمة بعد أن خوله إياها، فهو يظن أنه يستحقها وقد أوتىها على علم عنده. وهذا من أبشع الصفات المذمومة في الإنسان. بل هي من أغرب أحواله، كيف لا وهو يفزع إلى الله وحده بالدعاء حين يصيبه ضرر. ولكن حين يكشف عنه ضرره ينسى ما كان يدعو من قبل.

وأما قوله تعالى: "فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" الزمر 49. فقد فصل الرازي فيه القول: "إن-المشركين- عند الوقوع في الضرر الذي هو الفقر والمرض يهرعون إلى الله. ويرون بأنه الأقدر على دفع ذلك عنهم، ثم إن الله إذا رزقهم النعمة. وهي إما السعة في المال أو العافية في النفس. ادَّعُوا أن كل ذلك بكسبهم وجهدهم واجتهادهم." (1).

9.2. الجدل:

إن في قوله تعالى: "وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا" (الكهف 54). بياناً لوصف الإنسان بالجدل "والجدل في مقاييس اللغة: والجيم والبدال واللام أصل واحد وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، والجدل مقابلة الحجة بالحجة، ويقال إنه لجدل إذا كان شديد الخصام" (2) و"الجدل المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة." (3) والجدال خلق منه ذميم يصدر عنه تأديب الإسلام ويبقى في خلق المشركين. ومنه محمود كما في قوله تعالى: "فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ" هود 74. وليس المراد بالإنسان الإنسان الكافر، ولا المراد بالجدال الجدل بالباطل، واسم التفضيل هنا مسلوب المفاضلة، مثل قوله تعالى: "قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ". يوسف 33. وإنما أتى به لقصد المبالغة في شدة جدل الإنسان وجنوحه إلى المماراة والنزاع حتى فيما ترك الجدال في شأنه أحسن، بحيث إن شدة الوصف فيه تشبه تفوقه في الوصف" (4).

"الجدل المتنازعة بمعاوضة القول. أي هو الكلام الذي يحاول به إبطال ما في كلام المخاطب من رأي أو عزم عليه بالحجة أو بالإقناع أو بالباطل. والمراد هنا مطلق الجدل وبخاصة ما كان منه بباطل، أي أن كل إنسان في طبعه الحرص على إقناع المخالف بأحقية معتقده أو عمله. وسياق الكلام يقتضي إرادة الجدل بالباطل" (5) فالجدل المحمود ما كان عند الحاجة إلى إقناع بالحق، وإبانة لمنهج مستقيم، أو إثباتاً لصحة

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، ج 26، ص 458.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 1، ص 433. ابن منظور، لسان العرب، ج 1، ص 105.

(3) الراغب، المفردات في غريب القرآن، ص 189.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 15، ص 348.

(5) المرجع نفسه، ج 15، ص 349.

معلومات ومعارف. وأمّا الجدال المذموم فهو المرء، وهو كثير بين الناس حبا في مناصرة الهوى وتغليب لرأي باطل وطمس للحق. وهذا ما ذمّه الله في قوله تعالى: "وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا". الكهف 5.4.

3. التوجيه البلاغي لوصف الإنسان في القرآن الكريم

إنّ الدقة في انتقاء الألفاظ وإحكام تناسقها يعطيها جاذبية تستحوذ على النفوس، وتبعث العقل على الممارسة في التدقيق والتحقيق في المعاني. والتناسق القائم بين مفردات العبارة القرآنية يأتي نتيجة لتوفر خصائص، هي: الدقة في الوضّ، والاختيار، والوصف، والمعنى. ودعامة العبارة القرآنية هي الكلمة، وما دامت هذه الكلمة على غاية من الدقة، فالتناسق يأخذ محلّه الطبيعي في العبارة.⁽¹⁾ وبالتأمل الدقيق لآيات وصف الإنسان في القرآن الكريم يكشف عن كثير من الأوجه البلاغية. لعل أهمها:

1.3. قال تعالى: (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا 19) #المعارج 19. إن في قوله تعالى: (خلق الإنسان) تفصيل ذكره ابن عاشور بقوله: "واعلم أن (خلق الإنسان) إذا تعلق بها ما ليس من المواد، مثل: "إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا" سورة الإنسان 2. بل كان من الأخلاق والغرائز قد يعنى به التنبيه على جبلة الإنسان، وأنها تسرع إلى الاعتلاق بمشاعره عند تصرفاته تعريضاً كذلك لوجوب الحذر من غوائلها، نحو: "خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ" الأنبياء 37. وقوله تعالى: "إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا" المعارج 19. وقد تردّ للعدو والرفق، نحو قوله تعالى: "يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا" النساء 28. وقد تردّ لبيان أصل ما فطر عليه الإنسان، وما طرأ عليه من سوء تصرفه في أفعاله، كما في قوله تعالى: "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ" البلد 5.4⁽²⁾. " والفرق واضح بين حقيقة الشيء في أصل الوضع، وحقيقته في التركيب. وللسياق سواء أكان لغوياً أو اجتماعياً دورٌ كبير في تغيير حقائق الأشياء من حيث دلالاتها، سواء كان ذلك بإضافة دلالة جديدة، أو سلب معنى أصيل"⁽³⁾.

وتضمن قوله تعالى: "إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا" كناية عن تمكن خُلُق الهلع من الإنسان وغلبته على نفسه. والهلع "قلة إمساك النفس عند اعتراء ما يُخزنها، أو ما يسرّها، أو عند توقع ذلك والاشفاق منه."⁽⁴⁾ وذكر الزمخشري أن الهلع: "سرعة الجزع عند مسّ المكروه، وسُرعة المنع عند مسّ الخير"⁽⁵⁾ "فإذا أخبر عن الإنسان بشدة تلبسه ببعض النقائص، وجعل ذلك في قالب أنه جُبِل عليه، فالمقصود من ذلك إلقاء تبعه ذلك عليه، لأنه فرط في إرضاء نفسه على ما فيها من جبلة الخير، وأرعى لها العنان إلى غاية الشر."⁽⁶⁾.

(1) عمر السلمي، الإعجاز الفني في القرآن الكريم، ص 85.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 29، ص 170.

(3) لطيفة إبراهيم النجار، دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتفعيدها، ص 38.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 29، ص 168.

(5) الزمخشري، الكشاف، ج 4، ص 612.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 29، ص 168.

ويعود إثثار الإنسان الجزع والمنع وتمكنهما منه سببه أنه-الإنسان- جُبِلَ على الهلع. فصفة الهلع غريزة وطبيعة في نفس الإنسان، ووصف الإنسان بها لوم على تقصيره في دفعها ومجاهدة النفس لتجاوزها.

2.3. قال تعالى: "وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا" الإسراء 11. وقد جاء وصف الإنسان في القرآن بأنه (عجول) مرة واحدة في هذه الآية، فالإنسان يستعجل طلب كل ما يخطر بباله، وكل ما تشتهي نفسه دون تبصر في عواقب الأمور. لقد تضمنت الآية صورتين بيانيتين لخصت وصف الإنسان بالعجول في كل أموره دون أن يدرك خيرها من شرها، فتجده يدعو بالأمر ظناً منه أنه خير. وفي حقيقته هو شرُّ له. وقد فصل هذا ابن عاشور في تفسيره للآية حين قال: "المراد بالإنسان الإنسان الذي لا يؤمن بالآخرة. وإطلاق الإنسان على الكافر في القرآن الكريم كثير. وقوله دعاءه بالخير يفيد تشبيهاً. أي يستعجل الشر كاستعجاله الخير، ويستبطئ حلول الوعيد كما يستبطئ أحد تأخر خير وعد به"⁽¹⁾.

وفي هذا تأكيد لاتصاف الإنسان بالعجلة اتصافاً متمكناً، فتراه يستعجل حل الأمور دون أن يدرك حقيقتها أو الحكمة من تأخير الله لها. وهذا ما يؤكد قوله تعالى: "وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِّىَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَدَّرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ" يونس 11. فالله أعلم بمقتضى الحكمة في توقيت الأشياء.

أما الصورة البيانية الثانية في قوله تعالى: "وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا" الإسراء 11. فهي كناية "عن عدم تبصر الإنسان واستعجاله الأمور خيراً كانت أو شراً. وهو جاهل حقيقتها لا يجديه نفعا، فلكل أجل كتاب. والزمان مهما طال فهو مُنْقَضٌ لا محالة." وكان الإنسان عجولاً يتسرع إلى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتأني فيه تأني المتبصر بالأمور"⁽²⁾. وذكر الرازي طبع الإنسان في استعجال الأمور دون تبصر ومبالغته في ذلك، فقال: "المراد أن الإنسان وقت الضجر يلعن نفسه، وأهله، وولده، وماله. ولو استجيب له في الشر كما يستجاب له في الخير لهلك. وكثيراً ما يبالغ الإنسان في الدعاء طلباً لشيء يعتقد فيه الخير، ومع أن ذلك الشيء يكون منبع ضرره. وهو يبالغ في طلبه لجهله بحال ذلك الشيء. وإنما يقدم على مثل هذا العمل لكونه عجولاً مغتراً بظواهر الأمور."⁽³⁾. وهذا ما أكده الزركشي بقوله: "وقد سقطت الواو من أربع أفعال تنبهاً على سرعة وقوع الفعل، وسهولته على الفاعل، وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود. ومنها قوله تعالى: "وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ" الإسراء 11. فحذف الواو يدل على أنه سهل عليه ويسارع فيه كما يعمل في الخير، وإتيان الشر إليه من جهة ذاته أقرب إليه من الخير"⁽⁴⁾. فهذا حال الإنسان.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 15، ص 42.

(2) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 651.

(3) الرازي، مفاتيح الغيب، ج 20، ص 305.

(4) أبو عبد الله بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 398.

3.3. قال تعالى: "خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ" الأنبياء 37.

لقد تضمنت هذه الآية كناية عن ضعف صبر الإنسان. والعجل في اللغة: "السُرْعَةُ خِلافَ الْبُطْءِ، وَرَجُلٌ عَجَلٌ وَعَجَلٌ وَعَاجِلٌ وَعَجِيلٌ مِنْ قَوْمٍ عَجَالَى وَعُجَالَى، وَاسْتَعْجَلَ الرَّجُلُ: حَثُّهُ وَأَمْرُهُ أَنْ يَعْجَلَ فِي الْأَمْرِ"⁽¹⁾. وفي قوله تعالى: "خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ" دليل تمكن هذا الوصف من جبلة الإنسان، حيث شبهت شدة ملازمة الوصف بكونه مادة لتكوين موصوفه، لأن ضعف صفة الصبر في الإنسان من مقتضى التفكير في المحبة والكراهية، فإذا فُكِّرَ في شيء مكروه استعجل إزالته بداعي الكراهية."⁽²⁾ فلشدة مبالغة الإنسان في الاستعجال وكأنه خلق من عجل. وفي هذا كناية عن عدم تبصر الإنسان في أحواله واستعجاله أموره كُلِّهَا خَيْرَهَا وَشَرَّهَا. وقد نهى الله الإنسان عن الاستعجال وأمره بأن يَحْكِمَ عقله وَيُغَلِّبَهُ ليسلم من شر نفسه.

4.3. قال تعالى: "لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَنْتَوِسُ قَنْوُطٌ" فصلت 49. إنَّ في قوله تعالى بيانا لأثر ما جُبِلَ عليه الإنسان في خلقه، فتراه كثير الدعاء بالخير، وينشغل به، ولا يشكر المنعم، "فيأنس بالخير إذا حصل له. ويزداد من السعي لتحصيله ويحسبه كالملازم الذاتي، فلا يتدبر في معطيه حتى يشكره، ويسأله المزيد تخضعا، وينسى ما عسى أن يطرأ عليه من الضَّر فلا يستعد لدفعه عن نفسه بسؤال الفاعل المختار أن يدفعه عنه."⁽³⁾

وفي قوله تعالى: "لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ" استعارة بيانية شبه فيها استرسال الإنسان في طلب الخير على الدوام بالعمل الدائم الذي شأنه أن يسأم منه عامله. "وَسَيِّمَ الشَّيْءُ وَسَيِّمَ مِنْهُ، وَالسَّامَةُ الضَّجَرُ وَالْمَلَلُ"⁽⁴⁾. والإنسان بطبعه لا يمل طلب الخير. وعبر عن هذا بقوله تعالى: (لَا يَسْأَلُ) وفسره ابن عاشور بقوله: "فأما الإنسان فلا يسأم من دعاء الخير فمعناه لا يكتفي، فأطلق على الاكتفاء والافتناع السَّامة. وهي الملل."⁽⁵⁾ فجاء التعبير عن دوام طلب النعمة بعدم السَّامة. وهذا حال الإنسان لا يمل من طلب الخير. وإنَّ مَسَّهُ شر فتجده يؤوسا قنوطا.

وتضمن قوله تعالى (دُعَاءِ الْخَيْرِ) تعبيراً مجازياً فسره ابن عاشور بقوله: "الدعاء أصله الطلب بالقول، وهو هنا مجاز في الطلب مطلقاً، ويجوز أن يكون الدعاء استعارة مكنية شبه الخير بعقل يسأله الإنسان أن يقبل عليه."⁽⁶⁾ وفي كل تأكيد لطبع الإنسان في طلب الخير.

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج 11، ص 425. ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 4، ص 238.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 17، ص 68.

(3) المرجع نفسه، ج 25، ص 10.

رابن منظور، لسان العرب، ج 12، ص 280.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 25، ص 10.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 25، ص 10.

5.3. قال تعالى: "وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ" فصلت 51. اشتملت الآية على وصف آخر للإنسان يظهر طغيان النفس البشرية وظلمها وقلة ثباتها، فحين تصيب الإنسان نعمة وفضل من الله تجده يعرض وينسى شكر ربه وينشغل بنفسه. وإذا أصابه شر وضر لا يصبر وسرعان ما يجزع لما أصابه، ويدعو الله مُلِحاً وراجياً منه كشف غمّه وهمّه. ففي قوله تعالى: "أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ" كناية عن غفلة الإنسان عن شكر ربه. والإعراض: الانصراف عن شيء، واستعير هنا للغفلة عن شكر الله، أو التعمد لتترك الشكر⁽¹⁾.

وأما النأي "فهو البعد، وهو هنا مستعار لعدم التفكير في المنعم عليه، فشبه عدم اشتغال الإنسان بشكر الله بالبعد. وجانب الإنسان منتهى جسمه من إحدى الجهتين اللتين قبالة وجهه وظهره ويسمى الشق والعطف. والمعنى أَبْعَدَ جانبه⁽²⁾، ففي قوله: "أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ" كناية عن إبعاد نفسه، وولّى معرضاً بِجَنْبِهِ غير مُلْتَفِت بوجهه." ونأى بجانبه تأكيدٌ للإعراض، لأن الإعراض عن الشيء أن يوليه عرض وجهه. والنأي بالجانب، أن يلوي عنه عطفه-ظهره- ويوليه ظهره، وأراد الاستكبار لأن ذلك من عادة المستكبرين"⁽³⁾ المنكرين فضل الله ونعمه الجسيمة. كما تضمن قوله تعالى: (فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ) وصفاً لإلحاح الإنسان في طلبه وفي دعاء الله بكشف الضر عنه. ووصف الدعاء بالعريض استعارة، حيث "شبه فيها الدعاء المتكرر الملح فيه بالثوب أو المكان العريض. وعدل عن أن يقول: "فداع إلى" إلى "فذو دعاء" لما تشعر به كلمة ذو من ملازمة الدعاء له وتملكه منه."⁽⁴⁾ فاستعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه، فالإنسان ظالم لنفسه" فإذا أصابه الله بنعمة أبطرت النعمة، وكأنه لم يلق بؤساً قط"⁽⁵⁾. وهذا حال الإنسان ينسي المنعم ويعرض عن شكره، وينأى بجانبه حال النعمة. وإذا مسّه ضر بسيط، لا يَسْأَمُ من الدعاء راجياً كشف ما حلّ به من غم وهم.

إن حال النكران للفضل طبع خالص في الإنسان. وقد ذكر في موضع آخر في قوله تعالى: (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَتُوسَّسًا (83) قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرِيقُكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا"الإسراء 84.83. وفيها بياناً لصفة الاستكبار عند الإنسان حين تصيبه نعمة، فسرعان ما يعرض وينأى بجانبه وهذه عادة المتكبرين. وإذا مسّه فقر أو مرض كان شديد اليأس. والله أعلم بمن هو أهدى سبيلاً، " فكل إنسان يفعل وفق ما شاكل جوهر نفسه ومقتضى روحه، فإن كانت نفسه نفساً مشرقة خيرة طاهرة علوية صدرت عنه أفعال فاضلة كريمة. وإن كانت نفسه نفساً كدرة ندلة

(1) المرجع نفسه، ج 25، ص 15.

(2) المرجع نفسه، ج 25، ص 15.

(3) الزمخشري، الكشاف، ج 2، ص 690. الرازي، مفاتيح الغيب، ج 21، ص 390.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 25، ص 15.

(5) الزمخشري، الكشاف، ج 4، ص 205.

خبينة مضلة صدرت عنه أفعال خسيصة فاسدة"⁽¹⁾. والشاكلة هي الطريقة التي اعتاد صاحبها ونشأ عليها. ودلّ قوله تعالى: "كَانَ يَتُوسًّا" تأكيد على قوة يأس الإنسان، إذ صيغ له مثال مبالغة "يؤوسا" وأقحم معه الفعل "كان" الدال على رسوخ الفعل "تعجيبا من حال الإنسان في وقت مس الضر إياه. لأن حالة الضر أدعى إلى الفكرة في وسائل دفعه بخلاف حالة الإعراض في وقت النعمة، فإنها حالة لا يستغرب فيها الازدهاء لما هو فيه من النعمة"⁽²⁾.

وفي قوله تعالى: "وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسِّهِ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" يونس12. كناية عن إلحاح الإنسان في الدعاء، وتأكيد لوصف الإنسان بالجزع إذا مسّه ضر، فتراه يلجّ في الدعاء، ويتضرع راجيا كشف الضر عنه في كل أحواله لجنبه، أو قاعدا، أو قائما. وبدأ بذكر الجنب " لتمثيل التمكن من حالة الراحة بذكر شق من جسده، لأن ذلك أظهر في تمكنه وللدلالة على أنه يدعو الله في أندر الأحوال ملابسة للدعاء. وهي حالة تتطلب الراحة وملازمة السكون. ولذلك ابتدئ بذكر الجنب. وأما زيادة قوله: (أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا) فلقصيد تعميم الأحوال."⁽³⁾ فإذا مس الإنسان الضر تجده يدعو الله في كل أحواله لا يلهيه عن الدعاء شيء. وينسى شكر المنعم وعبادته.

وأما قوله تعالى: "فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسِّهِ" يونس12. فدلّيل آخر على نكران الإنسان وجحوده فضل ربه. وعبر عنه بلفظة المرور "والمرور مجازي بمعنى استبدال حالة بغيرها، شبه الاستبدال بالانتقال من مكان إلى آخر، لأن الانتقال استبدال، أي انتقال إلى حال كحال من لم يسبق له دعاؤنا، أي نسي حالة الاضطراب والاحتياج.

6.3. إن في قوله تعالى: "فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ" الفجر16.15. وصفا للإنسان حال النعمة وحال الضر، و"الإكرام أن يوصل إلى الإنسان كرامة، وهي نفع لا تلحق فيه غضاضة ولا مذلة. ونعمته صريح في أن الله يُنعم على الكافرين إيقاظا لهم ومعاملة بالرحمة"⁽⁴⁾. إن تشخيص المعنى وتحديد بدقة بالغة يضمن له دقة في الفهم وحكمة في الاعتبار بمغزاها العميق. وهذا ما لخصته عبارة " فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ " أي أعطاه بقدر محدود. وهي كناية عن القلة ويقابلها بسط الرزق.

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، ج21، ص391.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص193.

(3) المرجع نفسه، ج10، ص179.

(4) المرجع نفسه، ج30، ص330.

وجاء تقديم (ربي) على الفعلين (أَكْرَمَنِي وَأَهَانَنِي) دون أن يقول أكرمني ربي، وأهانني ربي "لقصد تقوية الحكم أي يقول ذلك جازما به غير متردد"⁽¹⁾. وفي هذا بيان وتأكيد لصفة الهلع عند الإنسان، فعند الضرر يجزع ويدّعي إهانة الله له، وعند الخير والنعمة مانع غيره.

7.3. قال الله تعالى: "إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا" الأحزاب 72. إن دقة التصوير الحسي في هذه الآية يكشف لنا عن فصل آخر في وصف الإنسان بالظلم والجهل، ففي كل من التعبيرين: (عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ) و(فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا) "استعارة تمثيلية لوضع شيء في شيء. لأنه أهل له دون بقية الأشياء. وعدم وضعه في بقية الأشياء لعدم تأهلها لذلك الشيء، فشبهت حالة صرف تحميل الأمانة عن السماوات، والأرض، والجبال. ووضعها في الإنسان بحالة من يعرض شيئا على أناس، فيرفضه بعضهم ويقبله واحد منهم"⁽²⁾. والعرض "وعَرَضَ لَهُ أَمْرٌ كَذَا أَيْ ظَهَرَ. وَعَرَضْتُ عَلَيْهِ أَمْرٌ كَذَا، وَعَرَضْتُ لَهُ الشَّيْءَ أَيْ أَظْهَرْتُ لَهُ وَأَبْرَزْتُهِ إِلَيْهِ."⁽³⁾ وتعلق العرض والإباء بالسماوات، والأرض، والجبال انتفاء إدراكها، فكيف لها أن تختار أو ترفض. وفي هذا تأكيد لجهل الإنسان لأمره وظلمه لنفسه وتحميلها مالا تطيقه السماوات، والأرض، والجبال. وإنّ هذا التمثيل تعظيم لأمر الأمانة إذ بلغت ألا يطيق تحملها ما هو أعظم ما يبصره الإنسان من أجناس الموجودات، فتخصيص السماوات والأرض والجبال بالذكر من بين الموجودات، لأنهما أعظم المعروف للناس من الموجودات.

وذكر ابن عاشور في تفسيره ما تحمله لفظة "الأمانة" من معان متعددة. فقال: "والأمانة هي ما يؤتمن عليه ويطلب بحفظه والوفاء دون إضاعة ولا إجحاف. وقيل الأمانة الطاعة، وقيل الصلاة، وقيل مجموع الصلاة والصوم والاعتسال، وقيل جميع الفرائض،..."⁽⁴⁾ فالسماوات والأرض بعظمها ما كان منها إلا أن تخضع لقوة الله وجبروته وتأبى حمل الأمانة. ليحملها الإنسان غير مُبَالٍ بعظم شأنها عند الله.

8.3. قال الله تعالى: "كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٌ" (6) أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْجَى (7) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى "العلق 8.7.6. إن في قوله تعالى ردعا وزجرا لمن كفر بنعم الله، وطغى بعد أن رأى نفسه مستغن عن الله، فتكبر وتجبر وتعلق قلبه بالدنيا. وأخذته الغفلة عن شكر نعم الله. و"المراد بالإنسان هنا على حد قول أغلب المفسرين هو أبو جهل. وبينت الآية أن الله مع أنه خلقه من علقه، وأنعم عليه بالنعم، إذ أغناه وزاد في النعمة عليه، فإنه يطغى ويتجاوز الحد في المعاصي واتباع هوى النفس، وذلك وعيد وزجر. وقد أكد الله هذا الزجر بقوله

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج 30، ص 330.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 22، ص 126. الرازي، مفاتيح الغيب، ج 25، ص 189.

(3) ابن منظور، لسان العرب، ج 7، ص 168. ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 4، ص 271.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 22، ص 128.

تعالى: "إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى" فتقع المحاسبة على ما كان منه من العمل والمواخظة بحسب ذلك.⁽¹⁾ فالإنسان متى أحس من نفسه الاستغناء يطغى. وقد أكدت هذه الصفة بحرف التأكيد "إن" وبلاد الابتداء لقصد زيادة التأكيد لما فيه من غرابة، فبدل أن يتذكر الإنسان منعمه فيشكره على جزيل النعم التي منحها إياه. تجده طاغيا ظالما متكبرا. والطغيان التعاضم والكبر، والاستغناء شدة الغنى، فالسين والتاء فيه للمبالغة في حصول الفعل، وعلة هذا الخلق أن الاستغناء تُحدثُ صاحبه نفسه بأنه غير محتاج إلى غيره، فيرى نفسه أعظم من أهل الحاجة. "ولا يزال ذلك التوهم يربو في نفسه حتى يصير خُلقا لا وازع يزعه من دين أو تفكير صحيح، فيطغى على الناس لشعوره بأنه لا يخاف بأسهم."⁽²⁾ وإن في إحكام صوغ الألفاظ بعد العناية الفائقة في انتقاءها ينبو عن ضخامة وغازرة في المعنى وبلاغة منقطعة النظير. وإن في قوله تعالى: "إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى" تهديدا للإنسان وتحذيرا له من عاقبة الطغيان. وفيها موعظة وتهديدا على سبيل التعريض لمن يسمعه من الطغاة. وتعليم للنبي ﷺ وتثبيت له. أي لا ينفع الطاغى غناه حين يحل الموت.

4. خاتمة

- من أهم النتائج التي توصلت لها هذه الدراسة التي تعلقت ببيان الأبعاد اللغوية والدلالية والبلاغية لوصف الإنسان في القرآن الكريم:
- تنفرد الألفاظ القرآنية بخصائص متعددة، لكونها مشعة ونابضة بالحياة، مصورة، وناطقة، ومعبرة، وموحية، تجعل المعاني أغزر وأعمق وأدق. وقد ساهمت في تنوع دلالات وصف الإنسان في القرآن الكريم، بين دلالات حسية وأخرى مجازية.
 - تنوعت صفات الإنسان في القرآن الكريم بين مادية أبانت خلقه وأصل تكوينه، وأخرى معنوية عكست طبيعته وخصائصه في معاملاته. ومن هذه الأوصاف:
 - الجزع، الهلع، المنع، اليأس، القنوط، الجهل، الظلم، الإعراض، الخصام، الجدل، البخل، العجلة.
 - تجاوزت دقة وصف الإنسان في القرآن الكريم المدلولات الحسية لتصل بالمعاني النفسية إلى أبلغ صورة، وأتم إدراكها بألفاظ موجزة موحية، ودلالات قوية معبرة. ساهمت في تقريب المعاني إلى المدارك البشرية العاجزة.
 - تجلت صيغ المبالغة في وصف الإنسان في القرآن الكريم في أكثر من موضع، فكانت مظهرا من مظاهر الإعجاز الدلالي والبلاغي. وكانت عنصرا فاعلا في تشكيل المعاني وبنائها.

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، ج32، ص220.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص445.

- أغلب أوصاف الإنسان في القرآن الكريم صيغ مبالغة على وزن "فعول" و"فعل" و"فعليل". وكان النصيب الأوفر لصيغة "فعول".
- من صفات الإنسان التي ورد ذكرها بصيغة "فعول" مرة واحدة في القرآن الكريم:
- جزوع، جهول، عجول، قتور، قنوط، كنود.
- جاء وصف الإنسان بالكفر على أكثر من صيغة، وهي:
- كفورا، ما أكفره، كفار، لكفور، كافر، كفور مبين.
- كما نشجع الباحثين على التركيز على البحث في الأبعاد الدلالية والبلاغية للألفاظ القرآنية لما تساهم به في توجيه المعنى القرآني وبيان إعجازه اللغوي والبلاغي والدلالي.

5. قائمة المصادر والمراجع:

- ابن جني، أبو الفتح عثمان، (1431هـ)، الخصائص، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ابن زكريا، أحمد بن فارس، (1979م)، مقاييس اللغة، بيروت، دار الفكر.
- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم جمال الدين، (1414هـ)، لسان العرب، بيروت، دار صادر.
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب، (1412هـ)، المفردات في غريب القرآن، دمشق، دار القلم.
- الأندلسي، أبو حيان محمد، (1420هـ)، البحر المحيط، بيروت، دار الفكر.
- أنيس، إبراهيم وآخرون، (1972م)، المعجم الوسيط، القاهرة، دار الدعوة.
- بن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، (1984م)، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية.
- بن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، (2008م)، أدب الكاتب، بيروت، دار الفكر.
- بن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد، بيروت، دار الكتاب العربي.
- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر، (1420هـ)، مفاتيح الغيب، بيروت، دار إحياء التراث.
- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد، (1957م)، البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، (1407هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت، دار الكتاب العربي.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، (1419هـ)، أساس البلاغة، بيروت، دار الكتب العلمية.
- الإسلامي، عمر، (1980م)، الاعجاز الفني في القرآن الكريم، تونس، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله.
- العسكري، أبو هلال، (1983م)، الفروق اللغوية، بيروت، الدار العربية للكتاب.
- لاشين، عبد الفتاح، ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن، بيروت، دار الرائد العربي.

- النجار، لطيفة إبراهيم، (1993)، دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها، الأردن، دار البشير.

6. Bibliography List

- Al-Andalusi, Abu Hayyan Muhammad, (1420 AH), Al-Bahr Al-Muhit (The Ocean of the Surroundings), Dar Al-Fikr, Beirut.
- Al-Askari, Abu Hilal, (1983), Linguistic Differences,, Arab House for Books, Beirut.
- Al-Isfahani, Abu Al-Qasim Al-Husayn ibn Muhammad Al-Raghib, (1412 AH), Al-Mufradat fi Gharib Al-Quran (The Vocabulary of the Strange Words of the Quran, Dar Al-Qalam, Damascus.
- Al-Najjar, Latifa Ibrahim, (1993), The Role of Morphological Structure in Describing and Codifying Grammatical Phenomenons, Dar al-Bashir, Jordan.
- Al-Razi, Abu Abdullah Muhammad ibn Umar, (1420 AH), Mafatih al-Ghayb,, Dar Ihya' al-Turath, Beirut.
- Al-Salami, Umar, (1980 CE), Al-I'jaz al-Fanni fi al-Qur'an al-Karim, Mu'assasat Abd al-Karim ibn Abdullah, Tunis.
- Al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Mahmud ibn Amr, (1407 AH), Al-Kashshaf 'an Haqa'iq Ghawamid al-Tanzil,, Dar al-Kitab al-'Arabi, Beirut.
- Al-Zamakhshari, Abu Al-Qasim Mahmud ibn Amr, (1419 AH), Asas Al-Balaghah (The Foundation of Eloquence, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, Beirut.
- Al-Zarkashi, Abu Abdullah Badr al-Din Muhammad, (1957 CE), Al-Burhan fi 'Ulum al-Qur'an, Dar Ihya' al-Kutub al-'Arabiyya, Beirut.
- Anis, Ibrahim, et al., (1972 CE), Al-Mu'jam Al-Wasit (The Concise Dictionary), Dar Al-DAou, Cairo.
- Ibn Ashur, Muhammad al-Tahir ibn Muhammad, (1984 CE), Al-Tahrir wa al-Tanwir, Al-Dar al-Tunisiyya, Tunis.
- Ibn Jinni, Abu Al-Fath Uthman, (1431 AH), Al-Khasa'is (The Characteristics), The Egyptian General Book Organization, Cairo.
- Ibn Manzur, Abu Al-Fadl Muhammad ibn Mukarram Jamal Al-Din, (1414 AH), Lisan Al-Arab (The Tongue of the Arabs, Dar Sader), Beirut.
- Ibn Qayyim al-Jawziyya, Muhammad ibn Abi Bakr, Bada'i' al-Fawa'id,, Dar al-Kitab al-'Arabi, Beirut.

- Ibn Qutaybah, Abu Muhammad Abdullah ibn Muslim, (2008 CE), Adab al-Katib, Dar al-Fikr, Beirut
- Ibn Zakariya, Ahmad ibn Faris, (1979 CE), Maqayis Al-Lughah (The Standards of Language), Dar Al-Fikr, Beirut,.
- Lashin, Abd al-Fattah, Ibn al-Qayyim and His Rhetorical Sense in the Interpretation of the Qur'an, Dar al-Ra'id al-Arabi, Beirut.